الأستاذ الدكتور:الياس مستاري
السنة الأولى ليسانس
المجموعة:ج/السداسي الثاني
المحاضرة الثانية:السرقات الشعرية

من أهم القضايا التي شغلت النقاد العرب قديما السرقات ، فلا نكاد نجد ناقدا إلا وقد أشار إليها ، وفي هذه المحاضرة نتعرف على السرقة لغة واصطلاحا وآراء مجموعة من النقاد القدامى .

السرقة لغة : جاء في المعاجم : السرقة تعني الأخذ ويقال : سرق منه مالا يسرق سرقا وسرقة واسترق السمع ، أي سمع متخفيا .

اصطلاحا : السرقة أخذ شاعر من شاعر آخر أي إغارته على بعض شعره ونسبه إليه (لشعره ولنفسه) ، وهكذا فلفظ السرقة في الأدب لا يقف عند حدود الاعتداء على حدود أدب الآخرين والأخذ منه ،إنما تتجاوز السرقة إلى أمور أخرى كالاقتباس والمحاكاة وعكس المعنى .

والسرقة قديمة قدم الأدب ، لهذا كان السطو على نماذج الغير أكبر مثلبة وأعظم منقصة يوصف بها الأديب ، لذلك نجد بعض الشعراء القدامى يتنصلون من هذا العيب ويبرؤون أنفسهم من هذه التهمة التي تشين أدبهم ، فقد قال طرفة بن العبد :

ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وقال حسان بن ثابت :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

آراء النقاد في السرقات :

ابن قتيبة :

تكلم ابن قتيبة (الشعر والشعراء / عيون الأخبار) عن الشعراء الذين أخذوا عن امرئ القيس ، واتبعوه وأورد أمثلة كثيرة ، وهو يكاد يحصر هؤلاء من الجاهليين و الإسلاميين ، وقد فطن إلى السرقة الخافية ، وفطن كذلك إلى زيادة الأخذ عن المعنى المأخوذ إلا أن زيادة الأخذ على المعنى المأخوذ يتيح له فضل الزيادة فهو يقول : وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

فسلخه أبو نواس وزاد فيه معنى آخر ، اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه ،وذلك في قوله:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء و داوني بالتي كانت هي الداء

فللأعشى فضل السبق عليه ، ولأبي نواس فضل الزيادة فيه .

وهذه الرؤيا للسرقات لا تزال بعيدة على أن تكون منهجا له معالم محددة .

ابن طباطبا العلوي :

تكلم في هذه القضية ووضع شروطا على الشاعر أن يتقيد بها و هي:

- إلطاف الحيلة في الأخذ .
- تدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها .
- تلبيسها (المعاني) حتى تخفى على نقادها والبصراء بها .
- استعمال المعاني في غير الجنس الذي تناولها منه الشاعر(المدح في الهجاء....) .
- تناول المعنى اللطيف في المنثور وجعله شعرا .

الآمدي :

عقد الآمدي فصلا طويلا عن سرقات أبي تمام وسرقات البحتري ، وذكر أنه كان ينبغي أن لا يذكر سرقات الشاعرين ، ولكنه اضطر إلى ذكرها ، لأنها ذكرت ضمن التهم التي تبادلها الفريقان ، ورأيه يتجلى أساسا في عدم عدّه السرقات بابا من عيوب الشعر ولا قضية تستحق الوقوف عندها .

ويضيف ما يسمى بفضل الإجادة ، وذلك في الحالات الآتية :

-إذا أخذ الشاعر معنى من غيره وألطف فيه وأحسن اللفظ .
- إذا أخذ الشاعر معنى من غيره وزاده وضوحا وبيانا وأحسنه و أجاده .
- إذا أخذ الشاعر معنى من غيره ، وأضاف إليه زيادة جمّلته و تمّمته .

- إذا أخذ الشاعر معنى من غيره فعكسه ، وبدا وكأنه معنى مختلف وجديد .
فإنه لا يعد سارقا بل هو مجيد .
أما الحالة التي تعد عيبا على الشاعر فهي : أخذه المعنى من غيره وإفساده ،أو أخذه المعنى بلفظه ونصه .فالاشتراك في المعاني العامة يعد أساس التداول عند الآمدي ، وهذا ما نبه إليه لذا يستوجب عدم لوم الشاعر على نقلها من غيره .
وقد بين الفرق بين أساس التداول وهو المعاني العامة المشتركة وبين غايته وهي اختصاص الشاعر بمعنى خاص .
وهذه المعاني المشتركة هي التي أشار إليها الأخطل في قوله:" نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة "

القاضي الجرجاني : (الوساطة بين المتنبي وخصومه)

وقف الجرجاني وقفة طويلة عند السرقات الشعرية لأنها مما أثار خصوم المتنبي وعدّوها عيبا عليه ، وهو يرى أنه لا يحق لأي شخص الحديث عن السرقة لأنها باب لا ينهض به إلا الناقد البصير العالم المبرز، وهو يؤمن بمبدأ توليد معنى من معنى سابق ، يقول : [السرق - أيدك الله – داء قديم ، وعيب عتيق ، ومازال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه ، وكان أكثره ظاهرا كالتوارد الذي صدّرنا به الكلام ... ثم تسبب المحدثون في إخفائه بالنقل والقلب وتغيير المناهج]
ثم يحلل المعاني المشتركة مستفيدا من آراء من سبقه مبينا أنواعها :
- المعاني المشتركة المستفيضة بين الناس ، ولا يمكن لأحد أن يدعي حق ابتكارها ،كتشبيه الحسن بالشمس والبدر ، والجواد الكريم بالغيث وهي بهذا لا تعدّ سرقة .
- ما كان من المعاني في الأصل مبتدعا ومخترعا ثم شاع استعماله بين الناس ، فصار كالمشترك المستفيض ، ولا يحق أن يسمى من استعمل مثل هذا المعنى سارقا ، كبعض التشبيهات المتداولة كتشبيه الطلل بالخط الدارس ، والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها ، أو كالتشاؤم من الغراب .. فإذا استعمل الشاعر معنى من المعاني المشتركة ومنحه سمة جمالية خاصة ، يصبح وكأنه ابتدعه وليس سارقا له .
كما تعرض القاضي إلى أنواع السرقات ومصطلحاتها وذكر التوارد والاحتذاء والمثال ... كقول المتنبي :

وقد صغت الأسنة من هموم فما يخطرن إلا من فؤادي

فهو مأخوذ من قول أبي تمام : (**يظل فؤادٌ للفؤادِ سنانه**)

ابن رشيق القيرواني :

تناول السرقات في كتابيه العمدة في محاسن الشعر ، قراضة الذهب ، فقد استوعب جميع الآراء التي سبقته ، وله الفضل في جمعها وترتيبها ، وقد قسّم المعاني إلى قسمين :
مخترعٌ : لم يسبق قائله إليه .
مولدٌ : يستخرجه الشاعر من معنى شاعر تقدّمه أو يزيد فيه زيادة ولا يقال له سرقة .
ويذكر أن السرق يكون في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة.و قد أورد قولا لأستاذه عبد الكريم النهشلي يقول فيه: "واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه كل معنى سبق إليه جهل ، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات "، و عد بعض النقاد هذا القول من أجمل ما قيل في السرقات.
وقد أخذ بعض المصطلحات الموجودة في كتاب " حلية المحاضرة " للحاتمي وبدأ في شرحها :
الاصطراف : أن يعجب شاعر ببيت شعر ، فيصرفه إلى نفسه .
الانتحال : أن يأخذ شاعر شعر شاعر آخر وينسبه إلى نفسه .
الادعاء : أن يدعي غير الشاعر لنفسه شعر غيره .
الإغارة : أن يصنع الشاعر بيتا ، ويخترع معنا مليحا ، فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا ، فيروى له دون قائله كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ويقال أخذه الفرزدق ، ولكن جميلا لم يسقطه من شعره .
الغصب : كما فعل الفرزدق بالشمردل اليربوعي وقد سمعه ينشد :

فما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم إلا غير حز الحلاقم

فقال الفرزدق : والله لتدعنه أو لتدعنّ عرضك ، فقال له : خذه لا بارك الله لك فيه .

المرافدة : أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له .
الاهتدام : هو السرقة فيما دون البيت ، ويسمى أيضا النسخ .
الاختلاس : تحويل المعنى من غرض إلى غرض (نقل المعنى) مثل قول كثير عزة :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل

اختلسه أبو نواس فقال :

ملك تصوّر في القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكان

حازم القرطاجني :

يقسم حازم المعاني على طريقته في التقسيم المنطقي إلى ثلاثة أصناف :

- صنف مشهور عند الجميع .
- صنف يعرفه البعض ، ويجهله البعض الآخر.
- صنف ندر وجوده ، وانعدم نظيره .

ثم يدرس كل صنف على حده ، ويبين ما يمكن أن يقع فيه من السرق ، وما يمكن أن يتسم به من الإبداع والاختراع .

أما القسم الأول : فهو متداول عند الناس ، شائع بينهم ومنه معاني تشبيه الشجاع بالأسد ، والكريم بالغمام ، ويرى أن هذا القسم لا سرقة فيه ، ولا حجر في أخذ معانيه لأن الناس في وجدانها ثابتة مترسخة ، ولا فضل فيها لأحد على أحد إلا بحسن تأليف الكلام .

أما القسم الثاني : فهو يضم المعاني التي يعرفها بعض الشعراء ويجهلها البعض الآخر ، ولا يسمح للشاعر إيراد هذا القسم من المعاني إلا بشروط أهمها :

أن يركّب الشاعر على هذا المعنى معنى آخر ، ويأتي مرتبطا ومقترنا به ، اقترانا يفيد أن الشاعر لم يقصد لا المعنى الأول ولا الثاني وحدهما ، وإنما قصد المعنى الناشئ عن تركيبهما وتداخلهما .

يجب أن يزيد على المعنى زيادة حسنة .

نقل المعنى من موضع هو فيه إلى موضع هو أحق به

أن يسلك به الشاعر مسلكا يختلف عن المسلك الذي استعمله فيه الأسلاف .

أما القسم الثالث : فهو النادر الذي لا نظير له ، وهذه هي المرتبة العليا في الشعر من جهة استنباط المعاني ، والشاعر الذي استعملها أقوى من غيره على الغوص على المعاني الدقيقة ومن بلغها فقد بلغ الغاية القصوى من ذلك وهذا النوع من المعاني يطلب الدقة في التفكير والحصافة في الذهن ، والشعراء يتحاشون الحديث عنها لأنها مستغلقة على مر الدهور والأزمان ، والتهدّي إلى مثلها أمر غير ميسر للجميع ، وإنما للذين بلغوا أقصى الذكاء وتسمى بالمعاني العقم ، وقد تحاملها الشعراء وسلموها إلى أصحابها علما منهم أنهم لو تعرضوا لها سيفتضح أمرهم ، والافتضاح هنا يسير موازيا لمصطلح السرقة ، فهما مقترنان في تصور حازم لمفهوم السرقة الظاهرة والواضحة والتي تقع في مجال المعاني العقم والنادرة عموما .